خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٢/٨/١٩م
في المسجد المبارك في إسلام آباد ببريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

كنتُ أتحدث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ضمن أصحاب بدر، وكنت أتناول أحداث عهده، واليوم سأذكر غزو الشام في عهد خلافته.

لما فرغ أبو بكر رضي الله عنه من أهل الردة واستقامت له العرب حدث نفسه بغزو الروم، (الذين كانوا ممن يعتدون على المسلمين من الخارج ويضايقونهم) و لم يُطلع عليه أحدا، (وكانت الشام الحالية تسمى الروم آنذاك، وملكها يُلقب بالقيصر) فبينما هو كذلك إذ جاءه شرحبيل بن حسنة فجلس إليه، فقال: يا خليفة رسول الله، أحدثت نفسك أن تبعث إلى الشام جندا؟ قال: نعم، قد حدثت نفسي بذلك و لم أطلع عليه أحدا، وما سألتني إلا لشيء. قال: أجل، إني رأيت فيما يرى النائم كأنك تمشي في ناس من المسلمين فوق حرشفة من الجبل، فأقبلت تمشي معهم حتى صعدت قلة في أعاليه، فأشرفت على الناس ومعك أصحابك أولئك، ثم هبطت من تلك القلة إلى أرض سهلة دمثة، فيها الزروع والعيون والقرى والحصون، فقلت: يا للمسلمين! شنوا الغارة على المشركين، فأنا ضامن لكم بالفتح والغنيمة! فشد المسلمون وأنا فيهم ومعي راية، فتوجهت بها إلى قرية فسألوني الأمان فأمنتهم، ثم جئت فأجدك قد انتهيت إلى حصن عظيم، ففتح لك، وألقوا إليك السلم، ووضع لك عريش فجلست عليه، ثم قال لك قائل: يفتح عليك وتنصر فاشكر ربك واعمل بطاعته، ثم قرأ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر:١-٤). ثم انتهيت. (كانت رؤيا طويلة.)

فقال له أبو بكر رضي الله عنه: نامت عينك، خيرا رأيت، وخيرا يكون إن شاء الله، ثم قال أبو بكر رضي الله عنه: بشرت بالفتح ونعيت إلي نفسي. ثم دمعت عينا أبي بكر رضي الله عنه، فقال: أما الحرشفة التي كنا نمشي عليها حتى

صعدنا منها إلى القلة العالية فأشرفنا منها على الناس فإنا نكابد من أمر هذا الجند مشقة ويكابدونها ثم نعلو بعد ويعلو أمرنا.

وأما نزولنا من القُلّة إلى الأرض السهلة الدمثة وما فيها من الزروع والعيون والقرى والحصون فإنا نتزل إلى أمر أسهل مما كنا فيه، فيه الخصب والمعاش.

وأما قولي للمسلمين: شنوا عليهم الغارة، فإني ضامن لكم بالفتح والغنيمة، فإن ذلك توجيهي للمسلمين إلى بلاد المشركين وحثّي إياهم على الجهاد.

وأما الراية التي كانت معك فتوجهت بها إلى قرية من قراهم فدخلتها فاستأمنوك فأمنتهم فإنك تكون أحد أمراء المسلمين ويفتح الله على يديك.

وأما الحصن الذي فتح لنا فهو ذلك الوجه، يفتحه الله عليّ.

وأما العريش الذي رأيتني عليه جالسا، فإن الله يرفعني ويضع المشركين.

وأما الذي أمرني بالعمل وبالطاعة وقرأ عليّ السورة فإنه نعى إليّ نفسي، إن هذه السورة حين أُنزلت على النبي ﷺ علم أن نفسه قد نعيت إليه. (الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله... ج٢)

(هذا كان تأويل أبي بكر رضي الله عنه لهذه الرؤيا) لما أراد أبو بكر رضي الله عنه أن يجهز الجنود إلى الشام دعا عمر وعثمان وعليًّا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وأبا عبيدة بن الجراح، ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم، فدخلوا عليه، فقال رضي الله عنه: "إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه، ولا تبلغ جزاءها الأعمال، فله الحمد كثيرا على ما اصطنع عندكم، قد جمع كلمتكم، وأصلح ذات بينكم، وهداكم إلى الإسلام، ونفى عنكم الشيطان، فليس يطمع أن تشركوا بالله ولا أن تتخذوا إلها غيره، فالعرب اليوم بنو أم وأب، وقد رأيت أن أستنفرهم إلى الروم بالشام، فمن هلك منهم هلك شهيدا، وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش منهم عاش مدافعا عن الدين، مستوجبا على الله ثواب المجاهدين، هذا رأيي الذي رأيت، فليشر علي كل امرئ بمبلغ رأيه."

فقام عمر رضي الله عنه، فقال: الحمد لله الذي يخص بالخير من يشاء من خلقه، والله ما استبقنا إلى شيء من الخير إلا سبقتنا إليه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، قد والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي ذكرت غير مرة، فما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن، فقد أصبت، أصاب الله بك سبيل الرشاد.

ثم أيّده عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد بن زيد وعلي وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار وقالوا: إنا سامعون لك، مطيعون، لا نخالف أمرك، ولا نتهم رأيك، ولا نتخلف عن دعوتك وإجابتك.

ثم قام أبو بكر ﷺ في الناس فذكر الله بما هو أهله، وصلى على نبيه ﷺ ثم قال: أيها الناس، إن الله تعالى، قد أنعم عليكم بالإسلام، وأعزكم بالجهاد، وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام، فإني مؤمِّرٌ عليكم أمراء، وعاقد لهم عليكم، فأطيعوا ربكم، ولا تخالفوا أُمراءكم، ولتحسن نيتكم وسريرتكم وطعمتكم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

وأمر أبو بكر ﷺ بلالا فأذن في الناس: انفروا أيها الناس إلى جهاد عدوكم الروم بالشام، وأمير الناس خالد بن سعيد. (الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله... ج٢)

ولفتوح الشام أول لواء عقده أبو بكر ﷺ لواء خالد بن سعيد ﷺ، وبحسب رواية لما رجع أبو بكر ﷺ إلى المدينة بعد حج بيت الله أرسل خالد بن سعيد مع جيش إلى الشام في الثالث عشر للهجرة، وقال البعض: حين أرسل أبو بكر ﷺ خالد بن الوليد إلى العراق حينها أرسل خالد بن سعيد إلى الشام، وعلى ذلك فأول لواء عُقد لفتح الشام كان لواء خالد بن سعيد. وإضافة إلى ذلك يثبت من رواية أن أبا بكر ﷺ حين عقد أحد عشر لواء من أجل أهل الردة حينها أمر خالد بن سعيد بأن يترل تيماء للحفاظ على حدود الشام وأوصاه أَلا يبْرَحهَا، وَأَنْ يَدْعُوَ مَنْ حَوْلَهُ بِالانْضِمَامِ إِلَيْهِ، وَأَلا يَقْبَلَ إِلا مِمَّنْ لَمْ يرْتَدَّ، وَلا يُقَاتِلَ إِلا مَنْ قَاتَلَهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُ أَمْرُهُ. (تاريخ الطبري ج٢ وغيره)

وتيماء مدينة شهيرة بين الشام والمدينة. بدأ أبو بكر ﷺ بجمع المسلمين من المدينة والمناطق الأخرى للحرب مع الروم ودعاهم إلى الجهاد، فكتب إلى أهل اليمن وهذا هو نص الكتاب:

"من خليفة رسول الله ﷺ، إلى من قرئ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد. فإن الله تبارك وتعالى، كتب على المسلمين الجهاد، وأمرهم أن ينفروا فيه خفافا وثقالا، فقال الله جل ثناؤه: ﴿وَجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾. (الصف:٩)، فالجهاد فريضة مفروضة، وثوابه عند الله عظيم، وقد استنفرنا من قبلنا من المسلمين إلى جهاد الروم بالشام، وقد سارعوا إلى ذلك، وعسكروا وخرجوا، وحسنت نيتهم وعظمت حسبتهم، فسارعوا عباد الله إلى فريضة ربكم وسنة نبيكم، وإلى إحدى الحسنيين: إما الشهادة وإما الفتح والغنيمة، إن الله جل ذكره، لم يرض من عباده بالقول دون العمل، ولا بترك الجهاد فيه أهل

عداوته حتى يدينوا بالحق ويقروا بحكم الكتاب، حفظ الله لكم دينكم وهدى قلوبكم، وزكى أعمالكم، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين، والسلام عليكم. (الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله... ج٢)

وبعث سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ بهذا الكتاب مع أنس بن مالك ﷺ حيث قال: أتيت اليمن فبدأت بهم حيًّا حيا، وقبيلة قبيلة، أقرأ عليهم كتاب أبي بكر الصديق، فإذا فرغت من قراءته قلت: الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، أما بعد، فإني رسولُ خليفةِ رسولِ الله إليكم، ورسولُ المسلمين، ألا وإني قد تركتهم معسكرين، ليس يمنعهم عن الشخوص إلى عدوهم إلا انتظاركم، فعجِّلوا إلى إخوانكم بالنفر، رحمكم الله أيها المسلمون.

فعاد سيدنا أنس إلى المدينة وبشَّرَ سيدنا أبا بكر بقدوم القوم فقال: قد أتوك شُعْثًا غُبْرا أبطال اليمن، وشجعانها، وفرسانها وقد ساروا إليك بالذراري والحرم والأموال.

في الطرف الآخر وصل خالد بن سعيد إلى تيماء فَأَقَامَ هناك فَاجْتَمَعَ إِلَيْه جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ، وَبَلَغَ الرُّومَ عظَمُ ذَلكَ الْعَسْكَر، فَضَرَبُوا عَلَى الْعَرَب الضَّاحيَة الْبعوث بالشام إليهم، فَكَتَبَ خَالدُ بْنُ سَعيد إِلَى أَبي بَكْرٍ بذَلك، فَكَتَبَ إِلَيْه أَبُو بَكْرٍ: أَنْ أَقْدمْ وَلا تُحْجمْ وَاسْتَنْصرِ اللهَ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ خَالدٌ، فَلَمَّا دَنَا منْهُمْ تفرقُوا وَأَعْرَوْا منْزِلَهُمْ.

فَنزلَهُ وَدَخَلَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ تَجمَّعَ لَهُ في الإِسْلامِ، وَكَتَبَ خَالدٌ إِلَى أَبي بَكْرٍ بذَلكَ، فَكتَبَ إِلَيْه أَبو بَكْر:

أَقْدمْ وَلا تَقْتَحمَنَّ حَتَّى لا تُؤْتَى منْ خَلْفكَ، فَسَارَ سيدنا خالد بن سعيد فيمَنْ كَانَ خَرَجَ مَعَهُ حَتَّى نَزلُوا في موضع، فَسَارَ إِلَيْه بطْرِيقٌ منْ بطَارِقَة الرُّومِ، يُدْعَى بَاهَانَ، فَهَزَمَهُ خالد بن سعيد وقتل الكثير من جنده، فهرب باهان إلى دمشق. وَكَتَبَ بذَلكَ خالد إِلَى أَبي بَكْرٍ وَاسْتَمَدَّهُ. وَقَدْ قَدمَ عَلَى أَبي بَكْرٍ أَوَائلُ مُسْتَنْفَري الْيَمَنِ وَمَنْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ، وَفيهِمْ سيدنا ذو الكلاع، وقدم اليه عكْرِمَةُ قَافلا وَغَازِيًا فيمَنْ كَانَ مَعَهُ ومنْ بعض المناطق الأخرى منتصرين على المرتدين. فَكَتَبَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أُمَرَاءِ الصَّدَقَات أَنْ يُبَدِّلُوا مَنِ أراد الاستبدال فَكُلُّهُمْ أرادوا ذلك فاسْتبْدَلوا، وسُمِّيَ ذَلكَ الْجَيْشُ جَيْشَ الْبدَالِ.

فَقَدِم هذه الجنود عَلَى خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، وَعِنْدَ ذَلِكَ اهْتَاجَ أَبُو بَكْرٍ لِلشَّامِ. وأمر الوليدَ بن عقبة بالسير إلى خالد بن سعيد، فلما وصل إليه أخبره أن أهل المدينة متحمسون لنصرة إخوتهم وأن سيدنا أبا بكر يدبر بعث الجيوش.

وفاضت نفس خالد بالمسرة، فأمر جيشه أن يتهيأ للسير حتى يكون له فخار الانتصار على الروم، وأراد الهجوم ومعه الوليد بن عقبة على جيش الروم العظيم وعلى رأسه قائدهم الأكبر باهان. كأن سيدنا خالد بن سعيد تجاهل عند الهجوم على الروم توجيهَ سيدنا أبي بكر أي ألا يقتحم كثيرا حتى لا يتسنى للعدو الهجوم من خلفه، فقد غفل عن خلفه فبدأ الهجوم قبل وصول القادة الآخرين. فانحاز عنه باهان مع أصحابه وسار إلى دمشق، وكان ذلك في الحقيقة مكيدة له، إذ كان يريد أن يحاصر المسلمين للهجوم عليهم من خلفهم، وكان سيدنا أبو بكر قد حذر من ذلك الخطر، لكن الطمع في الانتصار أغفل خالدا عن تنبيه خليفة الوقت وساقه إلى التقدم. فاقْتَحَمَ فِي جَيْشِ العدو وَمَعَهُ ذُو الْكَلاعِ وَعِكْرِمَةُ وَالْوَلِيدُ، فَانْطَوَتْ مَسَالِحُ باهَان عَلَيْه، وَأَخَذُوا عَلَيْه الطُّرُقَ وَلا يَشْعُرُ، وزَحَفَ لَهُ بَاهَانُ فَوَجَدَ ابْنَهُ سَعِيدَ بْنَ خَالِدٍ يَبحث عن الماء مع النَّاسِ، فَقَتَلَهُمْ باهان.

وحين بلغ خَالدًا خبر شهادة ابنه ومن معه، خَرَجَ هَارِبًا فِي جَرِيدَةٍ وبدلا من التصدي لهم خرج من هناك، فَأَفْلَتَ مَنْ أَفْلَتَ مِنْ أَصْحَابِه عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ وَالإِبِلِ، وَقَدْ أُجْهِضُوا عَنْ عَسْكَرِهِمْ، ووصل خالد هاربا إلى ذِي الْمَرْوَةِ، (وهو موضع بين مكة والمدينة على بُعد ٩٦ ميلا من المدينة) وَأَقَامَ عِكْرِمَةُ فِي النَّاسِ ردءا لهم، فردَّ باهانَ وجنوده أَنْ يَطْلُبُوا خالدًا. فلما علم بذلك سيدنا أبو بكر الصديق أبدى عتابا على خالد، و لم يأذن له بدخول المدينة، ولاحقا حين أذن له بدخولها قدم الاعتذار إلى سيدنا أبي بكر على تصرفه هذا.

ورغم هزيمة سيدنا خالد بن سعيد هذه لم تتزعزع عزيمة سيدنا أبي بكر ﷺ مطلقا، فلما علم بأن سيدنا عكرمة وسيدنا ذا الكلاع قد تمكنا من إنقاذ الجيش الإسلامي من ربقة العدو ووصلوا إلى حدود الشام، وهناك ينتظرون المدد، دبر إرسال النجدة فورا دون أن يُضيع لحظة. فقد جهز سيدنا أبو بكر أربعة جيوش كبيرة، وبعثها إلى أربع مناطق في الشام، وتفصيل ذلك كالتالي:

جيش يزيد بن أبي سفيان -فهو أخو سيدنا معاوية وكان أفضل إنسان في عائلة أبي سفيان- وهو أول الجيوش التي تقدمتْ إلى بلاد الشام، أمَّر عليه الصديق يزيدَ بن أبي سفيان. وكانت مهمته الوصول إلى دمشق وفتحَها ومساعدة الجيوش الأربعة عند الضرورة، وكان قوام جيش يزيد أول الأمر ثلاثة

آلاف ثم عززه الخليفة بالإمدادات حتى صار معه بحدود سبعة آلاف رجل. وكان في هذا الجيش من سكان مكة مثل سهيل بن عمرو وغيره من الأشراف، كان سهيل بن عمرو في الجاهلية من كبار رجال قريش ومن السادة الأذكياء وهو كان ممثل كفار مكة عند إبرام الصلح مع النبي ﷺ في الحديبية، وأسلم عند فتح مكة. فلما عقد سيدنا أبو بكر ﷺ لواء لسيدنا يزيد بن أبي سفيان، طلب ربيعةَ بن عامر، وعقد له أيضا لواء، وقال له أنه سيسير مع يزيد بن أبي سفيان، فلا يعصينّه ولا يعارضنه. ثم قال لسيدنا يزيد بن أبي سفيان، إذا رأيت أن تجعل ربيعة بن عامر في مقدمتك مناسبا فافعل، فهو من خير فرسان العرب، ومن صلحاء قومك، وآمل أنه من عباد الله الصالحين. فقال يزيد، إن حسن ظنك فيه زاد حبي له، ثم أقبل سيدنا أبو بكر ﷺ يمشي معهم، فقال يزيد: يا خليفة رسول الله ﷺ إما أن تركب وإما أن تأذن لي بالنزول لأمشي معك، لأني أكره أن تمشي وأنا راكب. فقال له سيدنا أبو بكر ﷺ: ما أنا براكب وما أنت بنازل. فإنني أرى خطواتي هذه في سبيل الله، ثم قال موصيا ليزيد ﷺ:

يا يزيد إني أوصيك بتقوى الله وطاعته والإيثار له والخوف منه وإذا لقيتم العدو فأظفركم الله به فلا تغلل ولا تمثّل (أي لا تشوِّه وجوه الجثث) ولا تغدر ولا تجبن ولا تقتلن وليدا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تحرقن نخلا ولا تغرقنه ولا تقطعن شجرا مثمرا ولا تعقروا بهيمة إلا لمأكل (أي لا تُهلك البهائم عبثا ودونما سبب) وستمرون بقوم في هذه الصوامع يزعمون أنهم حبسوا أنفسهم لله فدعْهم وما حبسوا أنفسهم له (أي لا تعترض للقسس والرهبان) وستجدون آخرين فحص الشيطان أوساط رؤوسهم كأن أوساطها أفاحيص القطا.

وجاء في رواية ما مفاده أنكم ستجدون آخرين حلقوا شعر رؤوسهم من الوسط وتركوها على أطرافها. فأضربوا بالسيف ما فحصوا عنه من رؤوسهم.

هناك روايات مختلفة تتحدث عن الذين أُمر بضربهم. فقيل إنهم كانوا حزبا من المسيحيين غير الرهبان، ولكنهم كانوا زعماء دينيين يحرضون الناس على محاربة المسلمين، وكانوا يشتركون بأنفسهم أيضا في الحرب. لقد قال أبو بكر ﷺ ألا يُقتل الرهبان، ولكن الذين يتبعون المحرضين على الحرب والذين يحاربون المسلمين يجب قتالهم لأنهم محاربون ومحرضون على القتال حتى ينيبوا إلى الإسلام أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ولينصرن الله من ينصره ورسله بالغيب. وأقرأ عليك السلام، وأستودعك الله.

ثم أخذ بيده فودعه، ثم قال: إنك أول امرئ وليته على رجال من المسلمين أشراف غير أوضاع في الناس، ولا ضعفاء ولا أدنياء ولا جفاة في الدين، فأحسن صحبتهم، وألن لهم كتفك، واخفض لهم جناحك، وشاورهم في الأمر، أحسنْ أحسن الله لك الصحابة، وعلينا الخلافة.

وبالإضافة إلى ذلك نجد ذكر وصايا أخرى أيضا، فقد كتب أبو بكر ﷺ إلى يزيد بن أبي سفيان: إني قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أسأت عزلتك. فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا له، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا إليه بعمله. وقد ولّيتك عمل خالد فإياك وعبية الجاهلية، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها. وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا. وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصلِّ الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها. وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وقلِّل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به. ولا تُرينّهم فيرَوا خللك ويعلموا علمك، وأنزلهم في ثروة عسكرك، وامنع من قبلك من محادثتهم، وكن أنت المتولي لكلامهم، ولا تجعل سرك لعلانيتك فيخلط أمرك. وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة. ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك (أي إذا أراد المرء أن يستشير أحدا فليخبره بالأمور بدقة حتى يشير عليه مشورة صحيحة بغير نقصان). واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك الأستار، وأكثِر حرسك وبددهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك. فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة فإنها أيسرهما لقربها من النهار. ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجن فيها، ولا تسرع إليها، ولا تخذلها مدفعا، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم، واكتف بعلانيتهم، ولا تجالس العباثين. وجالس أهل الصدق والوفاء، واصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول فإنه يقرّب الفقر ويدفع النصر. وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له.

أقول: هذا دستور العمل لكل زعيم، ولكل مسؤول وهذا ضروري جدا لتيسير الأمور على ما يرام.

ثم أخذ أبو بكر ﷺ بيد يزيد وودعه، ثم قال: إنك أول امرئ وليته على رجال من المسلمين أشراف غير أوضاع في الناس، ولا ضعفاء ولا أدنياء ولا جفاة في الدين، فأحسن صحبتهم، وألن لهم كتفك، واخفض لهم جناحك، وشاورهم في الأمر، أحسنْ أحسن الله لك الصحابة، وعلينا الخلافة.
فخرج يزيد في جيشه قبَل الشام، وكان أبو بكر رحمه الله، كل غدوة وعشية يدعو في دبر صلاة الغداة، ويدعو بعد صلاة العصر، فيقول: اللهم إنك خلقتنا و لم نك شيئا، ثم بعثت إلينا رسولا رحمة منك وفضلا علينا، فهديتنا وكنا ضلالا، وحببت إلينا الايمان وكنا كفارا، وكثرتنا وكنا قليلا، وجمعتنا وكنا أشتاتا، وقويتنا وكنا ضعفاء، ثم فرضت علينا الجهاد وأمرتنا بقتال المشركين حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. اللهم إنا أصبحنا نطلب رضاك، بجهاد من عاداك، ثم عدل بك وعبد معك آلهة غيرك، لا إله إلا أنت تعاليت عما يقول الظالمون علوا كبيرا، اللهم فانصر عبادك المسلمين على عدوك من المشركين، اللهم افتح لهم فتحا يسيرا، وانصرهم نصرا عزيزا، وشجع جبنهم، وثبت أقدامهم وزلزل بعدوهم، وأدخل الرعب قلوبهم، واستأصل شأفتهم، واقطع دابرهم، وأبد خضراءهم، وأورثنا أرضهم وديارهم وأموالهم وآثارهم، وكن لنا وليا، وبنا حفيا، وأصلح لنا شأننا، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين، واغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، ثبتنا الله وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، إنه بالمؤمنين رؤوف رحيم.
الجيش الثاني الذي أُرسل كان لشرحبيل بن حسنة. كان اسم أبيه عبد الله بن مطاع واسم أمه حسنة. كان يُكنى بأبي عبد الله. لقد مات أبوه وهو صغير السن. ثم اشتهر منسوبا إلى أمه وسُمّي شرحبيل بن حسنة. كان ممن أسلموا في صدر الإسلام وكان من قادة الجيش المعروفين في زمن الخلافة الراشدة. ومات في عام ١٨ من الهجرة عن عمر يناهز ٦٧ عاما.
حدد أبوبكر الصديق لمسير شرحبيل ثلاثة أيام بعد مسير يزيد بن أبي سفيان فلما مضى اليوم الثالث ودع أبو بكر شرحبيل وقال له: يا شرحبيل ألم تسمع وصيتي ليزيد بن أبي سفيان؟ قال: بلى. قال: فإني أوصيك بمثلها، وأوصيك بخصال أغفلتُ ذكرهن ليزيد. أوصيك بالصلاة في وقتها، وبالصبر يوم البأس حتى تظفر، أو تُقتل، وبعيادة المرضى وبحضور الجنائز، وذكر الله كثيراً على كل حال، فقال أبو سفيان ما مفاده: إن يزيد ملتزم بهذه الصفات سلفا، بل كان ملتزما بها قبل سفره إلى الشام وسيلتزم بها الآن أكثر بإذن الله.

فقال شرحبيل: الله المستعان وما شاء الله أن يكون كان، وودّع أبا بكر ﷺ وانطلق مع جيشه إلى الشام. وكان جيش شرحبيل ما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف وأمره أن يسير إلى تبوك والبلقاء ثم بصرى وهي آخر مرحلة (بصرى مدينة قديمة ومعروفة في الشام). وتقدم شرحبيل نحو البلقاء حيث لم يلق مقاومة تُذكر. تقع البلقاء في منطقة الشام أيضا، وكان جيش شرحبيل يسير على الجناح الأيسر لجيش أبي عبيدة والجناح الأيمن لجيش عمرو بن العاص، فأوغل في البلقاء حتى بلغ بصرى فأخذ يحاصرها فلم يوفق في فتحها لأنها كانت من المراكز الحصينة للروم.

الجيش الثالث كان لأبي عبيدة بن الجراح. اسمه عامر بن عبد الله، ووالده عبد الله بن الجراح، اشتُهر أكثر بكنيته، ويُنسب إلى جدّه الجراح. كان من العشرة المبشرين بالجنة. توفي في سنة ثماني عشرة وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

كان أبو عبيدة أمير الجيش الثالث الذي بعثه أبو بكر إلى الشام، فقد بعثه أبو بكر ناحية حمص. وكانت حمص مدينة قديمة وكبيرة قرب دمشق، كان عدد جيش أبي عبيدة سبعة آلاف، وفي رواية كان عدد جيشه من ثلاث إلى أربعة آلاف.

سار أبو عبيدة ومرّ في طريقه بمؤاب.. وهي قرية من البلقاء، وهي فسطاط ليست بمدينة، فقاتلوه أهلها، ثم سألوه الصلح فصالحهم. فكان أول صلح بالشام.

لقد بعث أبو بكر قيس ابن هبيرة مع أبي عبيدة، ثم إن أبا بكر أوصى أبا عبيدة بقيس بن هبيرة وقال: إنه قد صحبك رجل عظيم الشرف، فارس من فرسان العرب، لا أظن له حسنة ولا عظيم نية في الجهاد، وليس بالمسلمين غناء عن رأيه ومشورته وبأسه في الحرب، فأدنه وألطفه وأره أنك عنه غير مستغن فإنه مستخرج بذلك نصيحته وجهده وجده على عدوك. ودعا أبو بكر قيس بن هبيرة بعدما مضى أبو عبيدة فقال له إني قد بعثتك مع أبي عبيدة الأمين، الذي إذا ظلم لم يظلم، وإذا أُسيء إليه غفر، وإذا قطع وصل، رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين، فلا تعصه فإنه لن يأمرك إلا بخير وقد أمرته أن يسمع منك فلا تأمره إلا بتقوى الله، وقد كنا نسمع أنك سائس حرب وذلك في زمان الشرك والجاهلية الجهلاء ليس فيها إلا الإثم والكفر، فاجعل بأسك اليوم في الإسلام على من كفر بالله وعبد غيره، فقد جعل الله لك فيه الأجر العظيم والعز للمؤمنين قال، فقال له قيس: إن بقيت وبقيت لك فسيبلغك من حيطتي على المسلم وجهادي على المشرك ما يسرك ويرضيك. فقال أبو بكر: مثلك فعل هذا. قال فلما بلغه مبارزة البطريقين بالجابية وقتله إياهما قال صدق قيس ووفى.

بقي جزء من هذا الذكر، وسيستمر في المستقبل أيضا.

أما الآن فأذكر أحد شهدائنا السيد نصير أحمد ابن عبد الغني الذي كان من سكان حيّ دار الرحمة الشرقي بربوة، وقد قتله أحد معاندي الجماعة في ١٢ أغسطس بطعنات خنجر. إنا لله وإنا إليه راجعون.

وتفصيل ذلك أن السيد نصير أحمد توقف على موقف الباص عند صديقه بائع الصحف، وإذ جاء أحد المتعصبين دينيًا المدعو حافظ شهزاد حسن وسأل السيدَ نصير أحمد عما إذا كان أحمديًّا؟ فأجابه بأنه ينتمي إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية، فطالبه هذا المتعصب أن يرفع هتافات ضد الجماعة، وعندما رفض طلبه أخرج المتعصب خنجرًا من كيسه وأخذ يطعنه وهو يرفع الهتافات. لقد طعنه في ثوان قليلة طعنات كثيرة أسفرت عن استشهاده.

أُستشهد إثر طعنات عدة بالخنجر. كان في الثانية والستين من عمره عند استشهاده. وبعد الحادث قال القاتل في بيانه: لست نادمًا على هذا الفعل، وإذا سنحت لي فرصة أخرى لمثل هذا العمل في المستقبل فلن أفوّتها.

لقد حدثت هذه الحادثة كلها في غضون دقيقة، ولقد أُسعف إلى المشفى خلال دقيقتين أو ثلاث دقائق فحسب، ولكن هذا ما كان مقدّرًا أن الطعنات كانت قاضية فاستشهد.

لقد دخلت الأحمدية في أسرة الشهيد الراحل من خلال جده السيد فيروز دين من منطقة "رائي بور" في محافظة سيالكوت، الذي انضم إلى الأحمدية عام ١٩٣٥ بعد مبايعته في عهد الخلافة الثانية. لم يستمر في الدراسة بعد التعليم الابتدائي، وانضم إلى مهنة أسلافه في الفلاحة. قضى بعض الوقت خارج باكستان حيث عمل في ماليزيا وغيرها، ثم رجع إلى باكستان. وقبل عشر سنوات، انتقل من منطقة "رائي بور" محافظة سيالكوت إلى ربوة. كان متفرغا في هذه الأيام، و لم يكن يعمل. كان مصابًا بمرض في القلب أيضا. وكان يقضي معظم الوقت في خدمة الجماعة على مستوى الحي. وكان يخدم حاليًا في مجلس أنصار الله بصفته مسؤولا عن قسم "الإيثار"، ومحصّلا في قسم المال.

كان يتحلى بالعديد من الصفات والميزات. كان دائمًا على أتم الاستعداد لمساعدة كل مَن في الحي، ولاسيما الأيتام والفقراء. كما أنه كان يهتم بشكل خاص بنظافة المسجد. لقد كان شخصًا أمينًا ومجتهدًا وودودًا وشجاعًا. كان قد أصيب بكسر في ساقه، وبسبب إصابته هذه كان يواجه صعوبة في المشي، لكن على الرغم من ذلك، كان يحضر إذا استُدعي لأداء واجب الحراسة ليلا. كان يهتم

بشكل خاص للاستماع إلى الخطب، وبأداء الصلوات، وكان يتفقد هذا الأمر في حيّه ويعتني به. كان يحب الخلافة حبًّا عظيمًا.

كان معتاداً على الاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم يوميًا على هاتفه المحمول لمدة ساعة بعد صلاة الفجر، كما كان يوميًّا يذهب إلى مقبرة الجنة للدعاء. ويقول رئيس الجماعة في حيّه: كلما دعت الحاجة إلى عمل من أعمال الجماعة كان الشهيد الراحل يحضر على الفور، ولم يحدث قط أنه رفض مرة.

وتقول ابنة الشهيد السيدة مباركة: لقد رأى في المنام قبل استشهاده ببضعة أيام، أن هناك حشداً من الناس، ويسود الحزن على تلك الأجواء. لقد أُخرجت الصدقة أيضا إثر هذه الرؤيا. كان الشهيد الراحل يعبر منذ فترة مراراً عن شعوره بأنه لم يبق من وقته إلا قليل.

لقد ترك خلفه ما عدا زوجته السيدة "بروين أختر" وثلاث بنات. ألهمهن الله تعالى الصبر والسلوان.

يقول شقيقه السيد تنوير أختر: على الرغم من عدم معرفته كثيرًا بعلوم الجماعة إلا أنه كان منذ طفولته يتحلى بغيرة عظيمة من أجل الجماعة، وكان يحب الخلافة حبًّا جمًّا. لقد كان شخصًا بسيطًا ومتواضعًا وكان يجد سعادته في رؤية الآخرين سعداء. عندما كان يعود إلى المترل من لاهور بمناسبة العيد وغيره، كان يجلب معه الكثير من الأطعمة والمشروبات، وكان دائمًا يأتي بملابس جديدة وبدلات فاخرة، فلم يكن يرتديها إلا يوم العيد ثم كان يعطيني تلك البدلات ويأخذ مني ملابسي القديمة لأنني كنت مكرّسًا الحياةَ لخدمة الدين.

يقول ابن أخيه: إنه كان يحتفظ بالهاتف معه طوال الوقت تحسبًا لحاجة أي شخص من الجماعة للمساعدة، فإذا لم يكن لديه الهاتف فكيف سيتم الاتصال به؟ إذا رن هاتفه بالليل، كان يستيقظ على الفور ويستعد لخدمة الجماعة. كان يقصد أركان ربوة وأطرافها لمساعدة الناس إذا لزم الأمر. كان دائما على استعداد للتبرع بالدم وبالتالي كان سببًا في إنقاذ عدد لا يحصى من الأرواح. لم يكترث قط بمصابه بمرض القلب. إن مساعدة المحتاجين في نظره كان واجبًا أخلاقيًّا وكان ذلك عنده أهم من الاعتناء بمرضه هو.

رفع الله تعالى درجات الشهيد الراحل ووهب له مكانة عالية في جنة الفردوس، وكان حاميًا لذويه وناصرًا لهم، ووفق أولاده لمواصلة حسناته.

سأصلي صلاة الغائب عليه بعد صلاة الجمعة إن شاء الله تعالى.